« لعله يقصد الصاج » . والطعام عندهم عدة مراتب معروفة ، وربما كثرت وتعددت كل مرتبة منها ؛ فأول افتتاحهم يكون بالشوربة ، ثم بعده باللحوم ، ثم بكل نوع من أنواع الطعام كالخضروات والفطورات ، ثم بالسلطة . . . ثم إن الإنسان كلما أكل طعاماً فى صحنه غيَّرَه وأخذ صحناً غير مستعمل ليأكل فيه طعاما آخر » (١٣) . أليس هذا العرض الوصفى لفن الجلوس على المقاعد لا السجاد والأرض ، ثم فن تقديم الطعام على الموائد أقرب ما يكون إلى دليل للإنسان العصرى يعلمه فيه فن الطعام وطريقته ؟ . إنه يتحدث عن « الطبليات العالية » ولا يسميها « الموائد أو السفرة بلغة عصرنا » . ويدقق الوصف فى كيفية ترتيب الصحون وزجاجات المياه - لكل فرد واحدة - وترتيب السكينة والشوكة والملعقة لكل فرد ، حديث من يروى ليعلِّم قوماً يجهلون هذا الأمر جهلاً تاماً بدليل قوله : « فلا يأكل الإنسان بيده أصلا ولا بشوكة غيره أو سكينته أو بشىء من قدحه أبداً » . ثم يعلِّق على هذا بقوله : « ويزعمون أن هذا أنظف . . . » . فالطهطاوى ينقل آراءهم على أنها زعم يقال : ربما لئلا يورط نفسه فى تهمة الانحياز أو الاغتراب . وفى حديثه عن الإعداد للنوم يقول : « ثم إنهم أحضروا لنا آلات الفراش ، والعادة أنه لا ينام الإنسان على شىء مرتفع نحو سرير » . انظر إلى قوله « آلات » التى استخدمها لتدرك مدى إهمالنا لأنفسنا